من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الرسالة الثالثة

رسالة الفتوة

مقدّمة

يُعَدُّ مصطلحُ (الفُتُوَّةِ) في الدِّراساتِ الصُّوفيةِ مِنَ المصطلحاتِ القديمةِ التي تَعارَفَ علىٰ تَداوُلِها كبارُ مشايخِ التصوُّفِ ؛ مِن أمثالِ أبي عبدِ الرحمٰنِ السُّلَميّ (ت ٤١٢ هـ) ، والقُشَيريّ (ت ٤٦٥ هـ) وغيرِهِما ؛ وذٰلكَ بمدلولٍ يَتَّحِدُ في مضمونِهِ ، ويختلفُ أحياناً في التَّعبيرِ عنهُ ، وأَقدَمُ مَنْ عُرِف جَريانُ هٰذا المصطلحِ في كلامِهِ هو الإمامُ جعفرٌ الصَّادقُ (ت ١٤٨ هـ)[١] .

ولأهمِّيَّةِ مسألةِ الفُتُوَّةِ ؛ كَثُرَ الكلامُ عليها في كُتُبِ التَّصوُّفِ ، وتَوافَرَ نقلُ الأقاويلِ في بيانِ المرادِ منها ، وهلْ هي المروءةُ المعروفةُ أو تختلفُ عنها ؟ حتىٰ رأينا مَنْ أفرَدَها بتأليفٍ مستقلٍّ ؛ كأبي عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميّ (ت ٤١٢ هـ) صاحبِ « طَبَقات الصُّوفيَّةِ » ، وذٰلكَ في كتابٍ يَحمِلُ عُنوانَ « الفُتُوَّة »[٢] ؛ أجابَ فيهِ عن سؤالٍ يدورُ حولَ معنى الفُتُوَّةِ ؛ فأَوضَحَ أقسامَها وصوَّرَها ، وساقَ بأسانيدِهِ أحاديثَ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ تُوضِّحُ آدابَها ، وأورَدَ بعضاً ممَّا رُوِيَ عن السَّلفِ فيما يَتعلَّقُ بأخلاقِ أهلِها .

كما أَفرَدَ لها الأستاذُ أبو القاسمِ القُشَيريُّ (ت ٤٦٥ هـ) في « الرِّسالةِ » باباً مفرداً وتَرجَمَهُ بـ (بابِ الفُتُوَّةِ)[٣] وأَورَدَ فيه قدراً حافلاً من الأخبارِ الواردةِ عن السَّلَفِ وأهلِ التَّصوُّفِ ؛ فنَقَلَ عن شيخِهِ أبي عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلَميِّ مِنْ كتابِهِ

---

(١) ينظر « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية (٢/٣٢٥) .

(٢) طبع الكتاب بأنقرة بتحقيق سليمان آتش ، بكلية الإلٰهيات ، مطابع الجامعة ، سنة (١٩٧٧ م) ، وطبع بدار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع بعمان الأردن ، بتحقيق إحسان ذنون الثامري ، ومحمد عبد الله القدحات ، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م) .

(٣) ينظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٠٦) .

المذكورِ آنفاً ، ورَوَىٰ عِدَّةَ أخبارٍ مِنْ طريقِهِ ، ونقَلَ عن أبي عليٍّ الدَّقَّاقِ ، وأبي القاسمِ الجُنَيدِ ، وسهلٍ التُّسْتَريِّ ، وغيرِهِم .

ثمَّ جاءَ مِنْ بعدِهِ الإمامُ أبو إسماعيلَ الهَرَويُّ (ت ٤٨١ هـ) فبوَّبَ باباً بعنوانِ (الفُتُوَّةِ) ، وذلكَ في كتابِهِ : « مَنازِلِ السَّائرينَ »[١] ، وفيهِ بيَّنَ معناها باختصارٍ ، وقسَّمَها إلىٰ ثلاثِ دَرَجاتٍ .

وأمَّا الدِّراساتُ المُعاصِرةُ : فقدْ تناولَتْ مصطلحَ (الفُتُوَّةِ) مِنْ جِهاتٍ عِدَّةٍ ؛ فمنها ما يَتعلَّقُ بالمَنحى الصُّوفيِّ والفلسفيِّ ؛ كالدِّراسةِ الَّتي كَتَبَها الدكتور أبو العلا عفيفي ، وتَحمِلُ عُنوانَ : « الملامتيَّة ، والصُّوفيَّة ، وأهل الفُتُوَّة »[٢] ، حيث تناوَلَ فيهِ معنى المَلامةِ والفتوَّةِ والتَّصوُّفِ ، والصِّلةَ بينَها ، ونشأةَ المَلامتيَّةِ ، معَ تحليلٍ نقديٍّ لأصولِها .

ومنها ما يَتعلَّقُ بالمَنحى التَّاريخيِّ واللُّغويِّ ؛ كالدِّراسةِ الَّتي كتبَها الأستاذُ أحمدُ أمين في كتابِه : « الصَّعلكةُ والفُتُوَّةُ في الإسلامِ »[٣] ، وقدْ وثَّقَ هٰذينِ المُصطلَحَينِ توثيقاً لغويّاً وتاريخيّاً ، وكتابِ الأستاذِ عمرَ الدسوقيِّ : « الفُتُوَّةُ عندَ العربِ ، أو أحاديثُ الفروسيَّةِ والمُثُلِ العُليا »[٤] ، وتناوَلَ فيهِ صُوَرَها المختلفةَ عندَ العربِ ، والفرقَ بينها وبين الفروسيَّةِ في الغربِ ، وعَقَدَ فيهِ فَصلاً مُستقِلاً عن الفُتُوَّةِ عندَ الصُّوفيَّةِ .

عِلاوةً على العديدِ مِنَ المقالاتِ المنثورةِ في بُطونِ الصُّحُفِ والمَجَلَّاتِ عن مفهومِ الفُتُوَّةِ في الدِّراساتِ الصُّوفيَّةِ والأدبيَّةِ .

---

(١) ينظر « منازل السائرين » بشرحه « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية (٣٢٣/٢) .

(٢) طبع بدار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، سنة (١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م) .

(٣) طبع بدار المعارف بمصر ، سنة (١٩٥٢ م) .

(٤) طبعت طبعته الأولىٰ بمصر سنة (١٩٥١ م) ، وبين أيدينا الطبعة الثالثة لمكتبة نهضة مصر بالفجالة القاهرة .

« رسالةُ الفُتُوَّةِ » لأبي حفصٍ شهابِ الدِّينِ السُّهروردِيِّ :

كتبَ الشيخُ شهابُ الدِّينِ السُّهروردِيُّ (ت ٦٣٢ هـ) الرسالةَ التي بينَ أيدينا ، المترجمة بـ « رسالةِ الفُتُوَّةِ » ، وقدْ رسَمَها بطريقِ الاختصارِ والإيجازِ ، وقُسِّمَتْ نِصفَينِ :

ففي نصفِها الأوَّلِ : نَقَلَ عن السَّلَفِ وأهلِ التَّصوُّفِ بعضَ الأقوالِ المُبيِّنةِ لحقيقةِ الفتوَّةِ ؛ كالحسنِ البصريِّ ، وسفيانَ الثَّوريِّ ، والفُضَيلِ بنِ عِياضٍ ، وأبي القاسمِ الجُنَيدِ ، والحارثِ المُحاسِبيِّ ، وأبي بكرٍ الشِّبليِّ ، وأبي عليٍّ الرُّوذباريِّ ، والحكيمِ التِّرمذيِّ .

وفي نصفِها الثَّاني : أَورَدَ بعضَ الحكاياتِ عن الصَّالحينَ في شأنِ الفتوَّةِ .

وقدْ لُوحِظَ أنَّ السُّهروردِيَّ استفادَ الحكاياتِ الَّتي ذَكَرَها مِنَ « الرِّسالةِ » للقُشَيريِّ ، كما سيأتي في التَّعليقِ على الكتابِ .

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيقِ هٰذه الرِّسالةِ علىٰ نُسخةِ مكتبةِ آيا صُوفيا إستانبول، رقم المجموعة: (٠١٠ ـ ٠٢٠٤٩)، الأوراق (١٥٥ ـ ١٥٤).

وفقرةٌ صغيرةٌ مِنْ هٰذه المخطوطةِ تُوجَدُ في مخطوطِ السُّهْرَوَرْدِيِّ « إرشادُ المريدينَ وإنجادُ الطَّالبينَ » تحتَ عنوان « بابُ الفُتُوَّةِ »، مكتبةُ جارِ اللهِ بتركيا، رقم المخطوطةِ (١٠٨٤).

وتُوجَدُ من هٰذه الرِّسالةِ نُسختانِ غير النُّسخةِ المُعتَمَدةِ في التَّحقيقِ:

أُولاهما: في مكتبةِ آيا صُوفيا نَفْسِها، برقم (٣١٣٥)، الأوراق (١٨٥ ـ ١٩٠).

والأُخرىٰ: في مكتبةِ قره حصار Karahisar، بتركيا، برقم (٢/١٧٧٤٨)، الأوراق (٣٥ ـ ٤٥).

وذُكرت هٰذه الرِّسالةُ في « مُعجم تاريخِ التُّراثِ الإسلاميِّ » (٢٢٩٦/٣)، وفيه: أنَّ نُسخةَ آيا صوفيا هي في الأوراقِ (١٥٤ ـ ١٨١).

نماذج من صور المخطوط

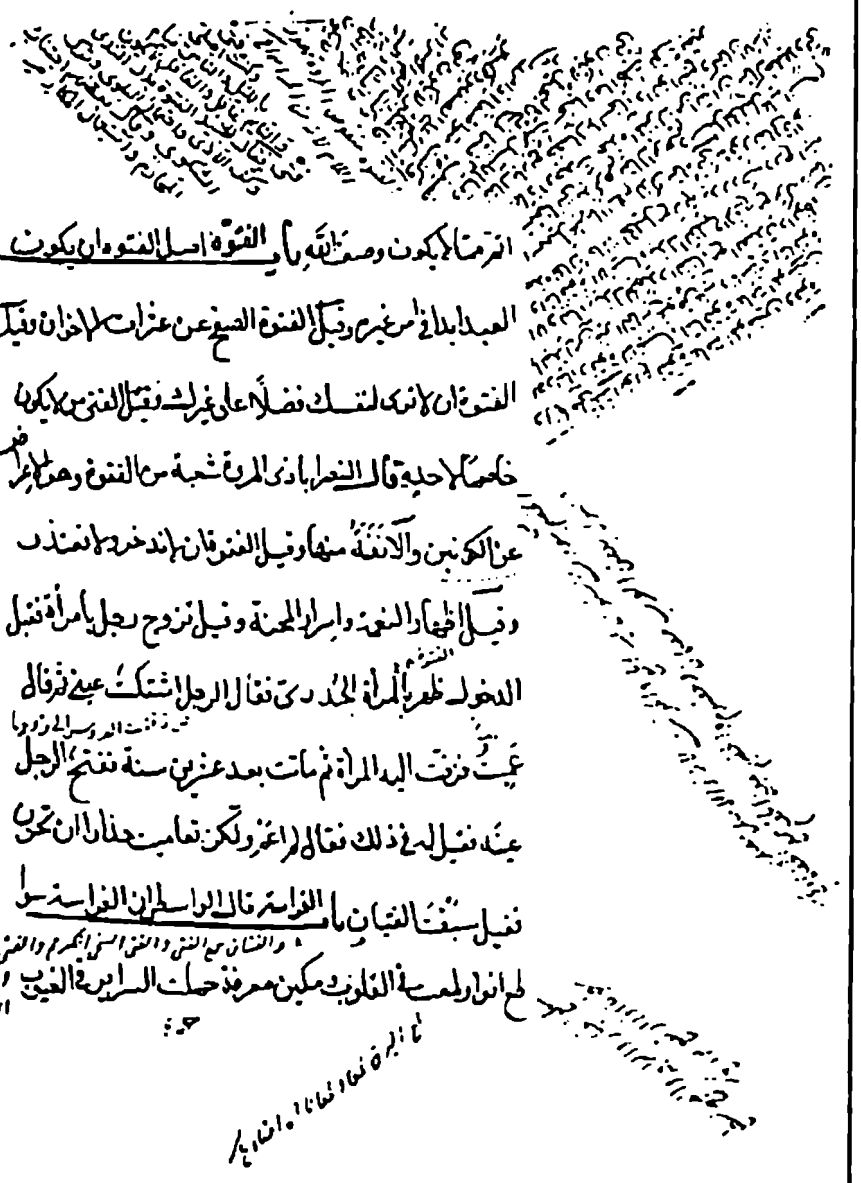

نسخة مكتبة جار الله تركيا ضمن كتاب « إرشاد المريدين »

رسالة الفتوة

بابٌ في بيان الفُتُوَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الحَسَنُ : (الفُتُوَّةُ في قَولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾)[1] .

وقالَ الثَّورِيُّ : (والفُتُوَّةُ : ألَّا تَعمَلَ في السِّرِّ شَيئاً يُستحَىٰ منهُ في الظَّاهرِ)[2] .

وقالَ فُضَيلٌ رضي الله عنه : (رأسُ الفِتيانِ يُوسفُ الصِّدِّيقُ صَلَواتُ اللهِ عليهِ) .

ورأسُ الفُتُوَّةِ : ألَّا تَمكُثَ في عَفوِ الجُرمِ وتقبلُ[3] ؛ كما أخبرَ الرَّبُّ علىٰ يُوسُفَ النَّبيِّ عليه السلام : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[4] ، ولا تَغلِيبَ على الجُرمِ ، وتَعتَذِرُ لأجلِ الجانِي ؛ كما قال الرَّبُّ ـ جلَّ وعَلا ـ خَبَراً عن يُوسُفَ : ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾[5] ، ويكونُ شَفِيعَهُ ؛ كما قالَ الرَّبُّ تعالىٰ خَبراً عن يوسفَ : ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[6] ؛ كلَّما جاءَ يوسفُ إلى البابِ واستغفرَ لإخوتِهِ . . نادَى الرَّبُّ تعالى الملائكةَ : أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْخَصْمَ صَارَ شَفِيعاً ؟

مِثالُه : إذا قالَ العبدُ في الصَّلاةِ : اللَّهمَّ ؛ اغفِرْ للمُؤمنينَ والمؤمِناتِ ، ثمَّ عفا عن أخيهِ ، ودعا لهُ باليُسرِ . . فقالَ الرَّبُّ للملائِكةِ : أَلَا تَرَوْنَ ، صَارَ الشَّفِيعُ خَصْماً ؟![7] .

---

(١) سورة النَّحل : (٩٠) ، والخبر لم أقف عليه . وراجِع للفائدةِ « الفُتُوَّة » لأبي عبدِ الرَّحمٰنِ السُّلميِّ (ص ٩٧) .

(٢) الأثَرُ مذكورٌ بمعناهُ في « الفُتُوَّة » (ص ٧٦) ، منسوباً لذي النُّونِ المِصريِّ .

(٣) في (الأصل) : (ويقبل) ، ولعلَّ الصوابَ ما أثبتُّ .

(٤) سورة يوسف : (٩٢) .

(٥) سورة يوسف : (١٠٠) .

(٦) سورة يوسف : (٩٢) .

(٧) كذا في الأصل ، ولعل صوابها : (صار الخصم شفيعاً) .

وقالَ محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرمِذيُّ رضي الله عنه[1] : (الفُتُوَّةُ : أن تكونَ خصماً للهِ تعالىٰ عن نفسِكَ ، وشَفِيعاً إلى الرَّبِّ لإخوانِكَ ، ومُعتَذِراً عنِ الجافِينَ في حقِّكَ)[2] .

وقالَ جُنَيدٌ : (الفُتُوَّةُ : كَفُّ الأذَىٰ ، وبذلُ النَّدىٰ ، وتَركُ الشَّكوىٰ)[3]

وقال المُحاسِبيُّ : (الفُتُوَّةُ : أن يُنصِفَ ولا يَنتصِفَ ، ويَبذُلَ ولا يَأخذَ)[4]

سُئلَ الشِّبليُّ عنِ الفُتُوَّةِ ؟ فقالَ : الصِّدقُ عندَ المحبَّةِ ، والرِّفقُ عندَ الحِقدِ ، والبَذلُ عندَ القِلَّةِ .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ رضي الله عنه : (الفُتُوَّةُ : الصِّدقُ معَ الحقِّ ، والطَّهارةُ معَ الخَلقِ ، وقِلَّةُ المبالَاةِ بالنَّفْسِ) .

وقيلَ : الفُتوَّةُ ثلاثةٌ : وفاءٌ بِلا عَهدٍ ، وحِفاظٌ بِلا خَوفٍ ، وعَطاءٌ بِلا انتظارِ مُكافأةٍ .

وحُكِيَ أنَّ فتىً تركَ هِمْياناً[5] فيهِ ألفُ دينارٍ معَ أصحابِهِ ، ثمَّ نامَ في مَوضعِهِ ، فانتبَهَ ، ثمَّ ظنَّ أنَّهُ تركَ هِمْيانَهُ في الموضعِ الَّذي نامَ فيهِ ؛ فوجدَ في ذٰلكَ الموضعِ جعفرَ بنَ محمَّدٍ الصَّادِقَ رضي الله عنه ؛ فتعلَّقَ بهِ يُطالِبُهُ بهِ ، فقالَ جعفرٌ : كمْ كانَ في هِمْيانِكَ مِنَ الدُّنيا ؟ فقالَ : ألفٌ ؛ فجاءَ بِهِمْيانٍ فيهِ ألفُ دينارٍ ، وأخذَهُ ، وجاءَ إلى الأصحابِ ، فقالَ : أمَا تَرَونَ أنَّهُ سُرِقَ هِمْيانِي معَ الدَّنانيرِ ، والهِمْيانُ ليسَ هِمْيانِي ؟ فقالوا : ما تقولُ وهِمْيانُك ها هُنا ؟! فجاءَ بالهِمْيانِ إلىٰ جعفرٍ الصَّادقِ رضي الله عنه ؛ فأبَىٰ

---

(١) المعروفُ بالحكيمِ التِّرمذيِّ المُؤذِّنِ ، صاحبُ « نوادرُ الأصولِ » .

(٢) يُنظر « الرِّسالة القُشيريَّة » (ص ٥٠٧) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٥٠٨) .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٥٠٧) .

(٥) الهِمْيانُ ـ بالكسرِ ـ : كِيسٌ للنَّفقةِ يُشَدُّ في الوَسَطِ . يُنظر « تاج العَروس » (٣١٢/٤٠) .

أنْ يَقبَلَهُ ، وقالَ : أخرجَناه مِن مِلكِنا ؛ فلا يَحسُنُ في الفُتُوَّةِ أنْ يَرجِعَ إلىٰ مِلكِنا[1] .

وحُكِيَ أنَّ فتىً أضافَ غَرِيباً ، وأضافَ أقرانَهُ ؛ لِوَجهِ الغَريبِ ، فلمَّا فرَغُوا مِنَ الطَّعامِ . . جاءَتْ جاريةٌ لِتَصُبَّ الماءَ لغَسلِ اليدِ ، فقالَ الغَرِيبُ : لا يَحسُنُ في المرُوءَةِ أنْ تَصُبَّ المرأةُ الماءَ للرَّجُلِ ؛ فقالَ أصحابُ البيتِ : إنَّا ندخُلُ هٰذا البيتَ عِشرينَ سَنةً ، ويَصُبُّ هٰذا الشَّخصُ لنا الماءَ ، ولا نَدرِي أرَجُلٌ هو أمِ امرأةٌ !![2] .

وحُكِيَ أنَّ فتىً تزوَّجَ امرأةً جميلةً ؛ فأصابَها الجُدَرِيُّ ومسحَ وجهَها ، فَظنَّ الفتَىٰ أنَّها تستَحِي منهُ ؛ فادَّعىٰ مِن نَفْسِهِ أنَّه أعمَىٰ ، ثمَّ أتَىٰ بالمرأةِ ومكثَ معها عِشرينَ سنةً ، ثمَّ ماتَتِ المرأةُ ؛ فأظهرَ أنَّهُ بصيرٌ ، وأنَّهُ إنَّما فعلَ ذٰلكَ لأجلِها[3] .

وحُكِيَ أنَّ فِتْياناً أتَوا فتىً أضيافاً ، فقالَ الفتَىٰ لِغُلامِهِ : جِئْ بالسُّفْرةِ ، فتأنَّىٰ ، حتَّىٰ ناداهُ ثلاثَ مرَّاتٍ ، فقالَ الأضيافُ في أنفسِهم : ليسَ هٰذا مِنَ الفُتُوَّةِ ! فلمَّا حضرَ الغُلامُ . . سألهُ ربُّ الغُلامِ ؛ فقالَ لهُ : تَأنَّيتَ ؟! قال : لأنَّ نَملةً صَعِدَتْ على السُّفْرَةِ ؛ فلمْ أُحِبَّ أنْ أُؤذِيَها ، فتَأنَّيتُ حتَّىٰ تَنزِلَ منها[4] .

والله أعلم

---

(١) أوردها القشيري في « الرِّسالةِ » (ص ٥١١) .

(٢) أوردها القشيري في « الرِّسالةِ » (ص ٥١٠) .

(٣) أوردها القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠٩) .

(٤) أوردها القشيري في « الرِّسالة » (ص ٥١١) .